

هل يخشى الأبواب؟

مسرحيّة من ثلاثة فصول

تألّيف

هديل بنت محمد الحضيف

٢٠٠٦ - ١٤٢٧

الفصل الأول

المشهد الأول

يبدو المسرح بإضاءة خافتة ، مع صوت لصرير الريح ، أبواب كثيرة موزعة على جوانب المسرح ، و شاب يرتدي نظارات بدسات داكنة . يتخطى بين الأبواب ، و يطرقها على غير هدى . بعض الأبواب تفتح له ثم سرعان ما تغلق ، و أخرى لا تفتح له على الإطلاق .

على عتبات الأبواب يتقرف أشخاص تبدو جلية عليهم مظاهر البؤس .. و يحركون رؤوسهم ببطء و بلاهة .
يضاء المسرح ببطء ، على مشهد الشاب و هو يدور في المسرح ، و ينظر إلى الأعلى .

الشاب : (مخاطبا الجمهور) منذ عهد الأسلاف القدماء ، منذ الأحلام العتيقة، والزمن الموجل في التاريخ .. لم تتوات الجدران عن الارتفاع .. تبالغ فيه، و تستطيل بشكل وحشي، تطمس أعين النوافذ، و تزرع الأبواب المُرتجحة على نواصي الدروب . كل الأبواب تمعنني .. كلها تغلق دوين !! و هذه الريح ستظل توقد الخلكة بالوعاء، و التفاصيل المخيفة..

الأبواب : (صوت اهتزاز شديد، ثم زمرة) خلفنا تندأ أراضٍ تتذرّع بنور زائف، لتغريككم بالحجرة إليها، حتى إذا ما تكنت منكم ، أغرقتم بohlها و تنتها .. (بصوت أعلى) أتعلمون من يحول بينكم و بين أن تستولي على قلوبكم و عقولكم ؟! لم يخل بينها و بينكم سوانا، وُضعننا لنحرس الأرواح من الفساد، نحن سدنتكم أيها المغلولون !

الشاب : لا أحلام نعلقها على مشجب الأيام ، فنرجوا أن تتحقق زمانا ما .. لا ضحكة توقد هشيم أرواحنا .. و لا ماء يسقي قاحل أراضينا .. تنتصب فوقنا شمس تصهر الرؤوس ، و نبحث عن ظل ، فنجد الطرق موصلة دوننا .. و الموت يتربص بنا، و بشحيم أمنياتنا ..

الأبواب : نحن الواقعون دون الغشاء ! نحن الذين حرستنا ماضيكم ، حيوات أجدادكم .. و آباءكم ..

الشاب : (يتسلل) لا يهمني كل هذا ! أرجوكم ، يكاد يخنقني الظلم ، و الريح تقلع آخر فسائل الضوء من عيني !!

الأبواب : (صوت جماعي) لن نفتح !!

الشاب : لا أريد غير قبس من نور ضئيل ، أضيء به حلقة عيني ! (يلتفت للكومبارس الذي يبدو حتى الآن وكأنه لا يأبه) وأنتم .. ألا تريدون ضوءاً يضيء ما تبقى من حياتكم؟ (يخاطب الأبواب مجدداً بعد أن يتوجه له الكومبارس) كل ما أرجوه قبس نور .. أرجوكم !

الأبواب: (صوت غاضب) لتهرب يا قليل الإيمان ؟

الشاب : أعدكم ألاّ أفعل ذلك !! كل ما أرجوه رؤية وجه أمي .. ابتسامة أخي ، لون الزهرة التي يوضع شذاها في غرفتي .. شكل العصفور الذي يملأ صباحاتي بصوته ، أريد أن أرى نور الله !

الأبواب : (صوت جماعي) بعد مداولات طويلة .. حكمنا عليك بالعمى ، فلن يغادرك أبداً !

الشاب : (يتحبظ في أنحاء المسرح ، و يبكي) سأموتون إذن !! افتحوا لي أفالكم لأنشبع عيني من وجه أمي .. و بقليل من الضوء أتزود به قبل أن يذبل ..

الأبواب : (صوت جماعي) لن نفتح !!

المشهد الثاني

زِقاق خلفي ضيق ، ييدو فيه الشاب ذو النظارات الداكنة واقفا مع شخص آخر يرتدي معطف طيب ، ولا تسلط على الشخص الثاني كثير من إضاءة ليعطيه الضوء الخافت شيئاً من الغموض . و يقف بينهما طفل لا يتجاوز السادسة من عمره يراقب حديثهما بتوحّس .

الطيب : (يهمس) اسمع .. أنا أحاطر بحياتي من أجلك .. هل تفهم ما أعنيه؟ و رغم ذلك أنت تأبى قبول مساعدتي ..
أخبرني ما الذي أستفيده أنا من عمل كهذا؟

الشاب : (بصوت متوجّس) لكن يا دكتور ، ماذا لو علمت الأبواب ؟ سيلقونني حينها في جب السباع .. لتشيع من لحمي ..

الطيب : لن تعلم ، سنرسم خطتنا بإتقان ، ثم نفاجئها فلا تستطيع فعل شيء !

الطفل : (يسكب بطرف ثوب الشاب) لا .. لا توفق .. ستعلم الأبواب !!

الطيب : (مخاطباً الطفل ، ويضع أصبعه على شفتيه) اسكت أنت ، لا شأن لك بما يجري !
الشاب : (بتلهف) و هل تنوي إخبار الأبواب في وقت لاحق ؟

الطيب : لا بالطبع .. إلا في حال اضطررنا لذلك ..

الشاب : (متوجّس) لم تفعل كل ذلك ؟

الطيب : من أجلك ... صدقني ، لا أريد سوى إنقاذه . ألسنت تريد رؤية نور الله ؟ ها أنا أمنحك فرصة قد لا تتكرر مطلقاً ، و دون أي مقابل !

الشاب : (يحدث نفسه ، بصوت من خلف الكواليس) نور الله .. و وجه أمي و ابتسامة أختي !! أأراها حقاً ؟!

الطفل : لن تراها .. لن تراها !! صدقني !

الطيب : (يقاطعه) و بالنسبة للأبواب ، سأضمن لك عدم معرفتها بالأمر .. ها .. ما قولك ؟

الشاب : لكنك قلت للتو ، أتاك ستخبرها في حال اضطرارك ..

الطيب : أستطيع أن أؤكد لك بأننا لن نضطر لذلك أبداً

الشاب : (يتكلم ببطء وفي صوته نبرة سعادة ، و كأنه ينظر إلى مكان بعيد) رأيت في منامي عصفورا ، كان جميلا ..
ب Qaeda من ضوء تلألأ في البعيد، يجول في فضاء لا أدرك مداه .. لم أعرف الألوان .. ولا أدرى ما إذا كان ما
رأيته أبيضا أو أحمرا .. أو بنيا .. لكنه كان يتوجه .. يضيء عيني .. و يبعثهما بالأشكال.. الألوان..
الحدائق.. والوجوه .. كان يخلق فوق مرج يبدو أنه أحضر ، لا تصور لي محيلتي لونا أجمل منه و أوسع منه
مدى (يتحذ صوته نبرة حزن) حين استيقظت لم يبق لي سوى السوداد .. اللون الوحيد الذي تختزنه عيناي .. لم
يتبق لي إلا الحلقة الداجية .. والأمنيات المهمشة على قارعة الطريق .. هل تستطيع أن تعيد لعيني الوجه الذي
ملأهما في ذاك المنام ؟

الطيب : نعم ، نعم .. بكل تأكيد !!

الطفل : (يعلق نظره بخوف في وجه الشاب)

الشاب : و نور الله .. هل سأرى نور الله ؟

الطيب : (نبيرة قاطعة) لا شاك في ذلك مطلقا !

الطفل : (يتسل) صدقني لن تراه !!

الطيب : (يدفع الطفل بعنف فيسقط معشاً عليه ، و الدم يترف من رأسه ، ثم يلوح للشاب بورقة) إذن وقع على
موافقتك ..

الشاب : لا أرى .. و لا أستطيع التوقيع ..

الطيب : لكنك تستطيع أن تبضم بإصبعك .. إبضم هنا .. لترى نور الله !! (يسكب بإصبعه ، و يضغط بها على
(الورقة)

المشهد الثالث

الطيب يعمل مع مساعدته في المختبر ، حلقية صوتية توحى بوجود محاليل و مركبات تحت التجربة ، و المسرح خافت الإضاءة إلى حد ما ..

الطيب : تعبتُ كثيراً من أجل إقناعه .. ييدو أن الأبواب ترعبه كثيراً ..

المساعد : و هل أطمأن إلى حديثك ، و تأكيدك على سرية العملية ..

الطيب : ييدو ذلك .. لكنني ما زلتُ متوجساً من عدم قدرته على الثبات .. (باشمئزاز) أما ذاك الطفل المعرف ، فقد كاد أن يودي بالمشروع بأكمله !

المساعد: أي طفل ؟

الطيب : طفل كان يرافقه ، و حاول مراراً أن يحول بينه وبين الموافقة ..

المساعد : يا إلهي ! إذن كدنا أن نبوء بالفشل من المرة الأولى ..

الطيب : (بضحكه من يفتح بإنجازه) لولا حذقي .. و حسن تصريفي !

المساعد : (باهتمام) و كيف ذلك ؟

الطيب : (باحثقار) و كرتنه فسقط .. و لعله مات أيضاً !

المساعد : من ..؟ الطفل ..؟

الطيب : و من غيره ؟

المساعد : حسن ما فعلت .. لكن ماذا عن الأبواب ؟ سيكون موقفنا صعب في حال وصل الخبر إليها

الطيب : ستتخذ إجراءات مشددة لضمان عدم علمها بأمرنا على الأقل ..

المساعد : لكننا لسنا متيقنين منه .. و من قدرته على مساعدتنا من أجل إنجاح العملية ..

الطيب : الذي لا يعلمه أنه قد بصم على شروط قد تكلفه حياته لو تراجع أو وشى بالأمر لأي كائن !

المساعد : (بفرح) رائع جداً، كنتُ واثقاً من أنك ستتمكن منه، (ينبئ صوته كثيراً) بالمناسبة ، إلى أين وصلت في بحوثك حول العين التي قمت باستزراعها ؟

الطيب : تمكنتُ حتى الآن من استرداد ثلاثة أعين .. و كلها تبدو ناجحة ، لكن ما زالت الاختبارات مقتصرة على الحيوانات ، سيكون [MRIضنا] ، الإنسان الأول الذي تطبق عليه نتائج البحث ..

المساعد : كيف كانت نسبة النجاح ؟

الطيب : كما توقعت ، لم تكن الاستجابة فورية ، و سريعة ، استغرقت وقتا ، حتى ظهرت النتائج واضحة ، و نسبة النجاح تقارب ٩٥٪

المساعد : هل اختبرتها؟

الطيب : بالطبع ..

المساعد : وأنت النتائج كما خططت لها ؟

الطيب : نعم ، كانت الرؤية كما كنا نريد، التركيب الداخلي للقرنية يؤدي إلى رؤية مختلفة عن الواقع ، كما يمكن التحكم عن بعد عبر الاتصال بشريحة دقيقة مزروعة في وسط العين ، تمكننا من اختيار المشاهد التي نرغب بها نحن . كما يمكننا تغيير ألوان المشاهد التي ينظر إليها الشخص ببرنامج دقيق ومعقد مرتبط مباشرة بجهاز التحكم الرئيس.

المساعد : (بانبها) مذهل.. هذا مذهل تماما، لم يخطر بيالي أن المشروع سينجح! وماذا قررت بخصوص المؤتمر الصحفي، هل ما زلت متربدة حياله؟

الطيب : قررت.. لن أقيم أي مؤتمر ، أريد أن تبقى العملية سرية إلى أن تتبين نتائجها على الإنسان الأول..

المساعد: وبعد ذلك؟ هل ستعلن النتائج؟

الطيب: سيكون ذلك رهناً بنجاحها.

المساعد : ومن ستشرع في إجراء العملية؟

الطيب : (بابتسامة الواثق) صباح الغد ..

الفصل الثاني

المشهد الأول

الشاب : مواجهة الطبيب ، بدون الطفل ، في ذات الزفاف ، و نفس التأثيرات الضوئية و الصوتية .

الشاب : لكن يا سيدي أرى الأشياء بخلاف ما يصفونها !!

الطبيب : اشرح لي ما ترى بالتفصيل ..

الشاب : أرى العصفور مجرد خطوط تتبعثر في الفضاء ، لا تنتمي لهيئة و لا لشكل .. و الوردة دوائر متداخلة بشكل مزعج يصيبي بالدوار . الشمس لا تضيء لي نهاري ، بل تغمر عيني بطوفان من الشعاع المعجمي ، و لا أفرق بين الوجه إلا باللمس أو بأصوات أصحابها .. لأن عيني التي زرعتها لي تظهرهم لي متباينين و كأنهم قد استنسخوا من بعضهم ..

الطبيب : (ينهض معانقا الشاب بطريقة احتفالية مبالغ فيها ، و يصرخ) هذا نور الله !! هذا نور الله !!

الشاب : (مندهشا) نور الله ؟!

الطبيب : نعم .. أنت ترى الأشياء بخلاف ما يصفونها ، لأنك تراها بضوء إلهي منحه الله لك على وجه الخصوص .. و هو لا يمنحه إلا لعباده المتقين ، الذين وصلوا مرتبة عالية من التقوى ..

الشاب : (متفاجئا) هل تعني أن هذا شيء ميزني الله به ؟

الطبيب : بكل تأكيد !

الشاب : (صامتا بدهشة)

الطبيب : (بأداء مسرحي مفتعل) هذا أيضا يخولك لفعل أشياء خارقة ، ليس كل الناس يستطيعون فعلها .. أشياء لم يُمنحها إلا فئة نادرة من البشر على طول التاريخ ، يجب أن تعترن بنفسك كثيراً ، لا .. لا .. ما أعنيه يتجاوز معنى الاعتذار .. ما أعنيه يدخل في دائرة الخوف .. نعم يجب أن تخاف على نفسك كثيراً ، ليس لسوء بك .. بل لأنك وصلت إلى مرحلة لم يصلها إلا القليلين من قبلك .. يجب أن تصون نفسك جيداً ضد كل ما من شأنه أن يقتل هذا النور في عينيك ! أنت .. أنت جوهرة خالصة !

الشاب : (يستمر في صمته)

الطيب : هل تظنني أهزة بك ؟ أو أكذب عليك ؟

الشاب : لا يا سيدي ..

الطيب : إذن ما الأمر ؟

الشاب : كل ما في الأمر أني أشعر بشيء من عدم التوازن ..

الطيب : من الطبيعي أن تشعر بذلك ، في البداية ، حين تعلم كم أنت مختلف عن الآخرين ، سيسبب لك ذلك صدمة تفقد معها قليلا من توازنك ، لكن باستشارتك للعارفين ، و من هم أكثر خبرة، ستجد نفسك و قد انخرطت في تقديم رسالتك السامية ..

الشاب: (باستغراب) العارفين .. الأكثر خبرة .. من تعني بذلك؟

الشاب : و هل أنا ملزم بذلك ؟

الطيب : (يصطمع انفعالا غاضبا) بالطبع نعم ! أنت ترى [الحقيقة] الآن بوضوح تام ، و ليس كما يراها الآخرون.. مزيفة، وقد تراكم عليها الكثير من المغالطات، فما عاد يتبيّنها أحد. من هنا يجب أن تبدأ في تنقية الحقيقة .. و تصفيتها .. ليرأها الآخرون كما هي .. لا كما يريد لها الشيطان ..

الشاب : (يجهشون عند قدمي الطبيب) أنا مدين لك يا سيدي .. و لن أوفيك الشكر أبداً، كل أحلامي تحققت على يديك.. أخبرني كيف أرد لك هذا الجميل؟ أنا ممتن .. ممتن !

الطيب : (بحياء مصطنع) لا داعي يا بين .. لا داعي إطلاقا !!

الشاب : لأنني لم أر النور الإلهي إلا بالعين التي زرعتها لي ..

الطيب : حتى لو لم أزرعها لك ، سترى النور بقلبك ، لأنه مربط الإيمان و التقوى ..

الشاب : لكنني لم أكنأشعر بهذا النور من قبل .. كانت الأبواب قد أحكمت عليّ الظلم ..

الطيب : (بحذر) بمناسبة الحديث عن الأبواب .. أرجو أن لا يصلها خبر هذا النور الذي تبصره الآن .. و أن تكون حريصا ، و لا تخبر بذلك أحدا ،

الشاب : (بدهشة) لكن يا سيدي .. هل أخفى نعمة الله علىّ ؟

الطيب : (يترق) الضرورة تقتضي ذلك الآن ..

الشاب : (مستمرا في دهشهته) و كيف أؤدي الرسالة التي شرفتُ بحملها ؟

الطيب : (بحال من ضاق بالأسئلة) سيعين وقتها .. لكن لا تستعجل .. كي لا تفقد النور ، و يلبس قلبك العتمة من جديد ..

الشاب : أعدك يا سيدني .. لكن ..

الطيب : (و قد ضاق بالشاب) سنؤجل الحديث لوقت آخر ، لدى عمل الآن .. أستأذنك (بنصرف قبل أن يخرج الشاب ، و دون أن يودعه)

المشهد الثاني

تبعد الأبواب كما في المشهد الأول، وقد تناثر على عتباتها نفس الأشخاص البائسين، لكنهم يبدون في هذا المشهد أكثر حيوية من المشهد الأول ، و يتبعون ما يجري باهتمام أكبر . يجلس الشاب في طرف المسرح ، و يظهر و كأنه غير عابئ بالأبواب ، و منشغلًا بعصا خشبية صغيرة ، ينحتها بنصل معه . بينما يقول في أنحاء المسرح رجل ضخم، يرتدي ملابس جلدية سوداء، وقد تقطق بسيف .. و بيده سوط يلوح به باستمرار ، ترجم الأبواب ، ثم تصرخ بالشاب ..

الأبواب : بلغنا أنك تحاول حرق الحكم الذي أصدرناه بحقك ..

الشاب : (غير عابيء ، و مواصلا انشغاله بالعصا) أي حكم تحرفون به ؟

الأبواب : (ترجع ، مع خلفية لصوت الريح)

الشاب : هل تظنون أنكم ما زلتם تمنعوني النور ؟

الأبواب : لقد صدر بحقك العمي الأبدى .. و مجرد محاولتك تجاوز هذا الحكم ، يعتبر تعديا على قداسة الأبواب..

الشاب : (يرفع رأسه للمرة الأولى، و يصرخ) أنا أرى نور الله أيتها الأبواب المغلقة .. أنا أرى الحقيقة كما هي .. دون زيف ، و دون محاولاتكم البليدة لطمسها ، أو إخفاؤها، الشمس التي قتلتموها بالظلمة.. أراها كما هي، السماء التي حجبتموها.. تظاهر لي بعدى لا ينتهي بحد.. أنا أرى الحقيقة كما هي !! (يُغيّر ويشعر مزهوها في أنحاء المسرح) أرى الحقيقة كما هي .. أرى الحقيقة كما هي ..

الأبواب : احلده أيها الجلاد !!

الكومبارس : (يقعون ليتابعوا الحدث)

الجلاد : (يقف متتصبا) كم جلدة يا سادي ؟

الأبواب : إلى أن يعود لاحترام أولياء نعمته، وأسباب بقائه حيا حتى الآن !!

الجلاد : (يسرع في جلده)

الشاب : (يصرخ)

الجلاد : أحساً .. (يستمر في الجلد)

الشاب : (يصرخ بالجلاد) وأنت أيها العميل المرتroc .. ستموت شر ميّة .. وستأكل حيفتك الكلاب !

الجلاد : أيها الجاحد .. خذ ما تستحق .. (يجمله)

الشاب : أيها الأفّاكون .. أخجلتم الشيطان بتفوّقكم عليه !

الأبواب : (تنبّه) لقد تدعى على مقامنا ، وسيرفع الحكم ضده إلى الموت . الموت له .. الموت له !!

الكومبارس : (يتهمسون ، و على وجوههم يبدو اهتمام بالغ و هم ينظرون إلى الشاب)

الشاب : (مهداً) أنا من يرى الحقيقة .. حين تقتلوني .. سيحل عليكم ظلام الزيف أبداً .. إن قتلتموني .. ستقتلون

رجالاً خصه الله بكرامات من عنده ، و سيحل بكم عظيم غضبه .. اقتلوني .. لتلتحقكم روحى إلى الأبد ..

اقتلوني .. لتخسف بكم الأرض ، و تسقط السماء عليكم كسفاً !!

الجلاد : (يقف محثراً)

الأبواب : (تنبّه) الموت له .. الموت له !!

الكومبارس : (بصوت حجول ، و منخفض) الموت له !

الجلاد : (محثراً) ماذا أفعل يا سادي ؟!

الأبواب : (بغضب) اقتله !

الجلاد: (يتقدم ليمسك بالشاب)

(يخرج من بين الكومبارس رجل ملثم يحاول تعطيل مهمة الجلاد ، بافعال شجار معه ، بينما يهرب الشاب إلى داخل

الكواليس ، ثم يهرب الملثم من الجهة الأخرى ..)

الأبواب : (بغضب) الحق بهما .. و اقتلهما معاً ..

الجلاد : (يندب خلف الكواليس)

الكومبارس: (يهمّمون بأصوات خافته ، ثم يقومون تباعاً ، ليختفوا خلف الكواليس)

المشهد الثالث

الطيب مع مساعدته ، في نفس المختبر ، ييدو عليهما الانهكاك في العمل .

الطيب : (بلا مبالاة) فشلت العملية التي أجريناها على الحالة الثالثة، ييدو أن جسده لم يكن بالاستعداد التام لقبول العضو الجديد ..

المساعد : سيضعنا هذا في ورطة كبيرة، وربما يكشف الخيوط الغامضة ..

الطيب : لا تخف .. اخذت الاجراءات المناسبة من أجل إسكاته ..

المساعد : (يحوف) لكن أذرعة الصحافة قد تصلنا .. و حين ذلك لن ينفعنا الاحتراز ..

الطيب : (يصرخ) الصحافة .. الصحافة .. أقسم أنها تحيل منامي إلى كوابيس لا تفتأ عن التنااسل .

المساعد : (كم من يتذكر شيئاً للتو خطرت لي فكرة !!)

الطيب : وما هي ؟

المساعد : لم لا يكون لنا صحفتنا الخاصة ؟!

الطيب : (يقطع عمله ، و يلتفت إلى مساعدته باهتمام) ماذا تعني ؟ ما الذي ترمي إليه على وجه التحديد ؟

المساعد : أعني ، أن نتودد إلى جهة إعلامية أو صحفية ، و نغريها بتبني أخبارنا ، و حمايتنا من سهام الصحافة ..

الطيب : لكن هذا سيكلفنا كثير ..

المساعد : لكننا سنستفيد منه على المدى القريب و البعيد .. ! سنجد من يدافع عنّا بدلاً من أن نتولى هذا الأمر بأنفسنا ، فيصرفنا عن متابعة أعمالنا و أبحاثنا المهمة ، و على المدى البعيد .. سنجد الكثيرين و قد بنوا فكرتنا .. أو على الأقل اقتنعوا بها .. و ما عادت فكرة مستهجنة بالنسبة لهم .. !

الطيب : (يعانقه بفرح ظاهر) أنت عقري !! كيف فاتني مثل هذه الأفكار ؟! (يحدث نفسه، وهو يدور في أرجاء المختبر) في البداية سنضطر إلى جهة مساعدتنا ، و قد تفرض علينا بعض القيود التي ستتحد من تحركاتنا ، لكن مع اقتناع الناس بها .. و تبنيهم لأفكارنا ، سنستغني عن الآخرين ، و نكون صحفتنا المستقلة ..

المساعد : (متابعاً حديث الطيب) و مؤسساتنا العلمية الخاصة ، التي تحتوي على عشرات المختبرات ، و آلاف الموظفين تحت خدمتنا ! (يجيل نظره في أرجاء المختبر باشمئزاز)

الطيب : (بشروط) نعم .. نعم ..

المساعد : و ربما سنعيش حتى نرى امبراطوريتنا ، و سنعلنها حقبة تاريخية جديدة ..

الطيب : (بشروع) بالتأكيد ..

المساعد : سيدى .. هل تشكو من شيء؟

الطيب : (يتبه) هاه ... لا .. لا .. لتابع العمل ..

المشهد الرابع

الزقاق الخلفي مرة أخرى ، الطبيب مع الشاب ، و يدو الشاب و كأنه يمثل للطبيب أحدهما سابقة مرت به ..

الطبيب : (بااهتمام ظاهر) أخبرني بالتفصيل ما الذي حصل ؟

الشاب : (بفخر) بعد أن هددتني بالموت ، أخذتها بالنور الإلهي الذي أرى به .. ارتجت و خافت ، لكنها مضت في غيّها .. و أظهرت و كأنها لا تعينها القوة التي أتفوق بها .. صرحت بي : (أداء مسرحي) الموت له .. الموت له !!

الطبيب : و كيف هربت منها إذن ؟

الشاب : لا أدرى من أين خرج ذاك المثلث ليدافع عنِي .. ييدو أن الله بعنه ليحميَّنِي منهم !

الطبيب : بالتأكيد !! أنت ولِيَّ من أولياء الله ، و لا يترك الله أولياؤه أبداً ! (مستدركاً) و هل بدأت بأداء مهمتك ؟

الشاب : نعم يا سيدِي ، أخبرت قليلين بأن الأبواب تخفي النور وراءها ، و أنها تمنعنا منه لأنها تريدنا أن نبقى أسري لها دائماً ..

الطبيب : (بغضب مفاجئ) لم فعلت ذلك ؟!! لم يكن مخولاً لك أن تبُوح بالسر !! (الشاب يتبع بدهشة ، و قد تغيّرت سحنته الفرحة) كان من المفترض أن تنتظر تعليماتي .. هذا خرق واضح و صريح لاتفاقية المبرمة بيننا !!

الشاب : (بدهشة) اتفاقية ؟!!

الطبيب : نعم الاتفاقية التي بصمت على الالتزام بشروطها !!

الشاب : (بدهشة) ظننتها مجرد موافقة على أداء العملية !!

الطبيب : (يتهكم) يا لسذاجتك !!

الشاب : (يتحجّل ، و يحيّي رأسه) أعتذر إليك يا سيدِي .. لم أكن أدرك ذلك .. أنا مخطيء و أستحق العقاب ..

الطبيب : (يُشيح بوجهه عنه)

الشاب : (يتهجد صورته) عاقبني يا سيدتي .. مريني بما تريده .. و سأكون رهن أمرك .. دعني أكفر عن ذنبي العظيم

الذى ارتكبته بحقك .. أرجوك يا سيدتي .. لن يهدأ لي بال قبل أن ترضى عني .. أتوسل إليك .. (بيكى)

الطبيب : (لا يلتفت إليه) إليك عني !! خاب ظني بك ، للمرة الأولى تخطئ توقيعى ! كنت أظن أنك ستكون بقدر المسئولية .. لكن واحتياه !

الشاب : (بيكى) أرجوك يا سيدتي .. ستضيق بي الأرض الرحمة لو غضبت .. أنت وليّ نعمتي .. أنت من زرع الضوء في عيني .. و منحني القدرة على رؤية نور الله .. موقد من أن سخطك عليّ سيحرمني هذا النور ..
امتحني عفوك يا سيدتي ..

الطبيب : (لا يجيب)

الشاب : هلكت يا سيدتي !! هلكت إن لم تعف عني ! (يجهش ، و هو بيكتي)

المشهد الخامس

مقهى شعبي ، يجلس فيه مجموعة البائسين الذين ظهروا في المشهد الأول ، و عددهم نحو الشمانية ، و ييلو أحدهم وقد استلم دفة الحديث ، و الجميع يتبعونه باهتمام بالغ ، ما عدا اثنين يتحدثان في طرف المسرح لوحدهما . بينما النادل يلبي الطلبات ، و يستمع في آن .

أصوات الحضور متداخلة : هيا اخبرنا ما السر ..

المتحدث : اصمتوا أولا ، و دعونا نتأكد بأن ما من أحد يتنصل علينا !

زبون ١ : (يصرخ) كوب شاي أحضر بدون سكر ..

المتحدث : سمعت أن الأبواب ستتصدر قرارا جديدا خلال اليومين القادمين ..

الحاضرون : (يقتربون من المتحدث ، و تهدأ صحتهم ، و ييلو عليهم الاهتمام بما سيقوله)

النادل : (يحضر الشاي لزبون ١)

المتحدث : (يصمت قليلا ، و يجبل نظره في أنحاء الحضور ، ليرى أثر كلامه على ملامحهم) تعلمون ما حصل قبل أيام حين تفرد أحدهم ، و أعلن عصيانه لهم ، كما أنه هددتهم بنور الله الذي يرى به .. لقد اجتمعت الأبواب في ليلة سابقة ، و بعد مداولات طويلة ، و أخذ و رد ، تظنون ماذا قررت ؟

زبون ٢ : ماذا ؟

زبون ١ : (يجتسى شاهيه) أليسوا قد حكموا عليه بالموت ؟

زبون ٣ : سيتفوق عليهم بقوته الخارقة ، لن تجدي أي عقوبة في حقه

زبون ٤ : (بتهكم ، موجها حديثه لزبون ٣) في كل مرة تزيد قناعتي بقصور إدراكك ، ألم تستوعب بعد ؟!! هذه هي الأبواب ، و ليست معلم الدباغة الذي تعمل لديه !!

زبون ٣ : (محاولا اصطنانع سبب للشجار) و إذا ؟

زبون ٤ : أي أنها تستطيع أن تضربك على رأسك فتنسى كل ما حزناته في هذا الرأس الخاوي عن الدباغة ..

المتحدث : رجاء.. المدوء .. رجاء ..

الحضور : (يصمتون بالتدريج)

المتحدث : (يتلفت، ثم يتحدث بصوت هامس ، و كأنه يخاف أن يشي به أحد) لقد قررت الأبواب نفيه !
النادل : (يترك ما بيده ، و يحضر مسرعا)

الحضور : (بصوت واحد، و تعلوهم الدهشة) نفيه ؟ !!!
المتحدث : (يهز رأسه بإيجاب)

زبون ٣ : لكن كيف ستنفيه ، و هي لم تفتح أقفالها منذ عهد نوح ؟
زبون ٤ : (بتهمكم) ستركب له جناحين و تطلقه في السماء .

الحضور : (يقهقرون)
النادل : (يعود لمتابعة عمله و هو يضحك)

زبون ٤ : (يصرخ بالنادل) هات على حسابي كوب من القهوة لتلميذ الدباغة النجيب (يضحك)
المتحدث : اسمعوا .. الخبر الأهم ، لم أحذركم به !

الحضور : (يسكتون فجأة)
النادل : (يقترب من المتحدث)

المتحدث : (يهمس) أنها لن تستطيع نفيه !

زبون ٣ : (يُفخر) ألم أخبركم بأنها لن تستطيع نفيه !

المتحدث : (مواصلاً حديثه الخافت) لقد اختفى !
الحضور : اختفى ؟!

المتحدث : لقد أرسلت الجلال في كل الأنحاء دون جدوى !
زبون ٥ : (كأنه يحدث نفسه ، و لا يريد أن يسمعه أحد) سيحل عليها العقاب لو آذته !
(يلتفت إليه الجميع)

زبون ٥ : (يرتابك للاهتمام المفاجيء الذي أبدوه تجاهه)
الحضور : (بأصوات متداخلة) ماذا قلت ؟

زبون ٥ : (بارتابك) لا شيء .. لا شيء على الإطلاق .. (يترك المسرح بسرعة و خوف)

الفصل الثالث

المشهد الأول

حشد من الرجال من بينهم بعض زبائن المقهى ، و بعض المؤسسة الذين ظهروا في المشهد الأول ، يصرخون أمام الأبواب بعبارات غاضبة ، و يحملون لافتات تطالب بأن تفتح الأبواب ، و تكسر الأقفال .

الأبواب : (بغضب) صمت—— !!

الحشد : ليس قبل أن تنفذوا لنا مطالبتنا ..

الأبواب : (بغضب) أي مطلب تعنوها ؟

الحشد : (بصوت جمعي جهوري) نريد الخروج .. مللنا الأقفال !

الأبواب : (بصوت مندهش) هل جنتم ؟!

الحشد : (بغضب) لا يهمنا أكنا عقلا ، أم فقدنا رشدنا .. كل ما نريده هو الخروج !! افتحي الأقفال أيتها الأبواب العتيقة !!

الأبواب : (بصوت غاضب) لا .. أبدا !!

الحشد : إذن سنكسرها !!

الأبواب : ستحل عليكم لعنتنا إذن !

(يصعد أحد المتواجدین فوق منصة صغيرة أمام الحشد، بحيث تكون الأبواب خلفه ، و الحشد من أمامه)

المتحدث : اهدؤوا يا رفاق !!

الحشد : ليس قبل أن نخرج !

المتحدث : اهدؤوا لنصل إلى حل ..

الحشد : عندما نخرج ، سنهدأ !

المتحدث : (بصوت أعلى) لنحاور الأبواب أولا ، حتى تفهم ما يحتاجه ..

الحشد : (يهدي بعضهم بعضا ، و كأن كلام الخطيب قدرات لحم)

الخطيب : (موجهاً حديثه إلى الأبواب) يا سادي الأبواب .. مضى زمن طويل و أنت تغلقون دوننا الدروب و تمنعونا النوافذ . مات أجدادنا .. و لحقهم آباءنا .. ثم نبت الرياح على قبورهم ، و مازلت تأبون أن نسيخ في الأرض، و نبغي من رزق الله .. نريد أن تمنحونا فرصة الخروج، نعدكم بأننا سنعود، وأن من يهرب مننا ستقررون بأنفسكم العقاب الذي يناسبه .. نرجوكم أيها السادة!

الأبواب : خلفنا يتربص بكم ريب المنون !

المتحدث : فلتخاربه !

الأبواب : نحن حراس أرواحكم ، وضعنا لحمaitكم ..

المتحدث : دعونا نخرج أسلحة أجدادنا التي صدئت، قبل أن يموتوا ..

الأبواب : لن نفتح الأقفال بأي حال .. قضي الأمر !

المتحدث : (يتولّ) لكن يا سادي ..

الأبواب : (تقاطعه) أيها الجلاد .. عليك به !!

الجلاد : أمركم يا سادي !!

الأبواب : خذه إلى الحبس !!

الجلاد : (يتجه ناحية المتحدث ليقيده)

الحشد : (يقفون بصمت و دهشة)

المتحدث : (يصرخ) لم أقل شيئاً يستحق العقاب !!

الأبواب : احسأ ، لم تقل شيئاً إذن ؟!! تأمرنا بما يجب فعله .. ثم تقول لم أقل شيئاً ؟!! ما أنت إلا عبد آبق ، و جاحد لأولياء نعمتك !!

الجلاد : (يلقي المتحدث أرضاً ، ثم يقيده ، و يقوده خارج المسرح، و سط بصمت الحشد و دهشتهم)

الأبواب : لتعلموا أن هذا هو مصير كل من يحاول أن يتطاول على مقام الأبواب العالي !!

(نخفت الإضاعة المسلطة على الأبواب)

الحشد : (يفرق و يخرج من جانبي المسرح، مردداً بصوت خافت) سنحطمها .. سنحطمها !!

المشهد الثاني

الطيب مع مساعدته في المختبر، و قد جلسا على كرسين ، على عكس المشاهد السابقة ، حيث كانوا منهمكين في عملهما ، و يدو عليهما الاهتمام أثناء الحديث . و يقف بينهما الشاب باحترام بالغ .

الطيب : (محاطبا الشاب) الآن يجب أن تدرك بأن مسؤوليتك ليست سهلة و لا هينة بأي حال من الأحوال ، على عاتقك يقع عبأ تبصير الناس ، و تعليمهم ، و تنبئهم بأن ما يرونه محض زيف ، و أن الحقيقة هي ما تراها أنت !

الشاب : هل لك يا سيدي أن توضح لي ما الذي يجب عليّ فعله على وجه التحديد ؟

الطيب : (يزفر) حسنا .. أولا: يجب أن تومن أنت قبل غيرك بأن الأبواب تخفي خلفها النور .. و أنها لاتمنع الناس عنه إلا لخوفها من أن يهجموا ، فتقعد تعاور الخراب و عويل الريح ، و التاريخ المهمل .. فهمت ؟

الشاب : نعم يا سيدي ..

الطيب : ثانيا : ضع باعتبارك أن هناك سدنة للأبواب ..

الشاب : (متفاجئا) سدنة ؟!! كيف ؟ أليست ترعم بأنها سادنة أرواحنا ؟!!

الطيب : هذه نقطة أخرى .. اسمعني جيدا ..

الشاب : كلي آذان صاغية ..

الطيب : سدنة الأبواب مهمتها تعطيل آلية محاولة لكسر الأقفال ..

الشاب : لكنني لا أرى أحدا يحرسها !!

المساعد : (بنفاذ صير) ألا تستطيع أيها الفتى الانتظار حتى ينتهي الطيب من حديثه ؟!!

الشاب : (يخرج) عفوا يا سيدي !!

الطيب : أنهم يتقطون الأخبار التي تنبئ بأي محاولة لاقتحام الأبواب ، ثم يردعونها إلى الأبواب ، فتقضي عليهم بطريقتها .

الشاب : (بعجلة) هل أقتلهم ؟

المساعد : (بسخرية) بالطبع لا !

الطيب : لن أضيع أبحاثي على من لا يستحق .. تحت أي ظرف !

المساعد : ولو كانت الظروف ملائمة ، و الأشخاص ؟

الطيب : لدى ظروف في المناسبة .. و أشخاص الملائمين !! انظر إلى صاحبنا كيف استطعنا ترويضه .. هل تظن أنه بإمكاننا أن نروض كل أعمى ؟

المساعد : اممم ، لنفترض .. لا ، لكن ما المقاييس التي تعتمد لها لإجراء العملية على شخص ما ؟

الطيب : (بغور ، و ينظر لزاوية بعيدة) حدي ! حدي الذي لا يخيب !!

المشهد الثالث

الشاب ، مع ثلاثة من الرجال في الزقاق الذي التقى فيه بالطبيب أول مرة ، ييدو الوقت ليلا ، و هم يتناجرون خوفا من أن تسمع أصواتهم ..

الشاب : (مخاطبا أحدهم) جميل جدا ما قمت به ، كنت قلقا بشأن ذاك المخرب ، و نويت مرارا أن أقضي عليه دون أن أتمكن من ذلك ..

رجل ١ : و أيضا، أحرقت دكان ذاك الرجل الذي أبدى عدم تصديقه لك ..

الشاب : (باهتمام) وهل عرف أنك الفاعل ؟

رجل ١ : (مفتخرا) لا ، بدا الحريق و كأنه ناتج عن ماس كهربائي ..

الشاب : (بحماس) عمل رائع ، أريدكم جميعا هكذا .. لا تتركوا أثرا وراءكم .. مازال الوقت مبكرا ، و نحن لم نجمع حولنا أنصارا كثيرين ..

رجل ٢ : أريد أن أخبركم ..

الجميع : (باهتمام) لماذا ؟

رجل ٢ : لقد اكتشفت سادنا جديدا للأبواب

الشاب : من هو ؟

رجل ٢ : النادل .. في مقهى السوق

الشاب : (متفاجئا) لا يمكن !

رجل ٢ : بلـي .. أنا متأكد من ذلك ..

رجل ٣ : ييدو أن معلوماتك ليست دقيقة بما فيه الكفاية ..

رجل ٢ : (بغضب) هل تريد إقناعي بصحة معلوماتك إذن ؟!! (يتهكم) لم ننس بعد حكاية انتظارك الطويل أمام متزل تاجر البرتقال .. و لليلة كاملة ، لقتله .. و إذ المتزل قد غادره صاحبه منذ شهر ..

رجل ٣ : (بغضب) لم يكن خطبني !!

الشاب : (باهتمام) رجاء التزموا المدوع ، ليس هذا وقتا مناسبا لمناقشات كهذه ، ما أريد التأكيد منه ، هل النادل سادنا أم لا ؟

رجل ١ : أتريد مني أن أتأكد لك من ذلك ؟

الشاب : سأكون لك شاكرا .. (غير نيرة صوته بحيث تأخذ منحى جديا أكثر) بالمناسبة .. اتفقتو مع الطيب أن تكون الليلة الأخيرة من الشهر القادم موعدا نهائيا لتنفيذ العملية، ليسترنا الظلام، رغم أننا ما زلنا بحاجة بعض الأنصار ، لكن حتى ذلك الحين يجب أن نخطط وفق نظام دقيق . أنت (يشير إلى رجل ١) ستتولى الأمور التكتيكية .. بينما أنت (يشير إلى رجل ٣) تتولى الأمور التنفيذية ، وترفعون لي بشكل يومي نتائج تخطيطكم للعملية ، لأقوم بإطلاع الطيب على مجرياتها.

رجل ٢ : و ماذا عن دوري ؟

الشاب : يكمن دورك في المراقبة

رجل ٢ : (متفاجئا) مراقبة !! !! مراقبة ماذا !! !!

الشاب : (مبدوء) مراقبتنا

رجل ٣ : (يقهقه)

رجل ٢ : (بغضب) هذه إهانة صريحة لي !! لن أبقى !

الشاب : (يربت على كتفه) لن فهو عليك ، أليس كذلك ؟

رجل ٢ : (مازال غاضبا) لكنني هنتُ عليكم !

الشاب : لا ، ما زلنا أصدقاء .. هذه يدي (يمد يده مصافحا)

رجل ٢ : لستم أصدقائي بعد الآن .. (يخرج من المسرح غاضبا)

رجل ٣ : (يصرخ به) حسناً فعلت !!

الشاب : (يتوتر) ما كان من المفترض أن خسره ! لكنه خطئي ..! الحقيقة أني أشك في دقة المعلومات التي يجلبها لي
رجل ٣ : ليذهب للجحيم !

رجل ١ : (مبدوء ، مخاطبا الشاب) يفترض بك أن تستعيده ، ليس من صالحنا أن نفقده .. كما أنه لم يتأكد لنا بعد عدم صحة المعلومات التي يأتي بها

رجل ٣ : (باستهتار) هو أقل من أن نقل بشأنه ..

الشاب : سأحاول أن أتدارك الأمر .. يمكنك الذهاب (يشير إلى رجل ٣) أما أنت أريدك في أمر خاص (موجهاً
حديثه لـ رجل ١)

رجل ٣ : (يخرج)

الشاب : تعلم مقدار ثقتي بك ، لعلمي بقدرتك على إنجاز ما آمرك به دون حديث أحياناً .. ما أريد قوله ، هو أنك
حزت على ثقة الطبيب أيضاً ، وهو يرغب بلقائك ..

رجل ١ : (مبدوء ، و بدون انفعال واضح على وجهه) تلك ثقة أعتز بها .

الشاب : يريد أن يتقييك الليلة !

المشهد الرابع

يبدو المسرح مظلما ، و حاليا ، أصوات حشرات الليل هي الأعلى ، و عصرير ريح قارسة ، إضاءة حافطة تسلط على الأبواب ، ترتفع ببطء هممات رجال ، و أصوات خطواتقادمة من جانبى المسرح . يدخل حشد رجال ، تصل أعدادهم إلى عشرة رجال ، يحملون بأيديهم مشاعل ، و تبدو ملابسهم ثقيلة . تسلط إضاءة خفيفة ، توضح شكل الشاب ، و هو يسير أمامهم .

يقرب رجل ٣ ، الظاهر في المشهد السابق من الشاب .

رجل ٣ : ألم يخبرك الطبيب بأنه سيكون معنا هذه الليلة ؟

الشاب : (يقلق ظاهر) بلى !

رجل ٣ : (باستغراب) إذن .. أين هو ؟

الشاب : لا أدرى .. اتصلت به مرارا دون جدوى ..

رجل ٣ : و هل ذهبت إلى بيته ؟

الشاب : طرقته مئات المرات ، فما عاد لي سوى رجع الصدى !

رجل ٣ : ماذا سنفعل ؟

الشاب : سنمضي في تنفيذ مهمتنا ..

رجل ٣ : (متعجبًا) في هذا الجو القارس ؟ و بدون وجود قائدنا ؟

الشاب : (بجزم) نعم !

رجل ٣ : و ماذا عن صاحبك ، و أمين سرك .. أين هو ؟

الشاب : أخبرني بأنه سيلحق بنا ، ولديه ترتيبات أخيرة تحتاج منه أن ينهيها

رجل ٣ : و لم يقم بها من قبل ؟ هو يعلم موعد العملية .. و من المفترض أن يكون قد أبلغ جميع الأعمال قبل موعدها .

صوت رجل من المجموعة : هل نبدأ ؟

الشاب : (بصوت أعلى) لا ، ليس الآن .. (يختفي صوته مخاطباً رجل ٣) هي أعمال استجدت في اللحظة الأخيرة كما قال لي .

(صوت همهمة رجال)

رجل ٣ : (يقلق) هل تسمع ما أسمع ؟

الشاب : (يقلق) أظن أنني سمعت صوت رجال ..

صوت رجل من المجموعة : هل بدأ ؟

الشاب : (بصوت عالٍ ، لا تغيب عنه نبرة القلق) إلى الأبواب .. فلتُحرَق !!

(يخرج من خلف الأبواب مجموعة رجال ، يقودهم رجل ١ ، الظاهر في المشهد السابق ، ويهجمون عليهم)

الشاب : (متفاجئاً) يا خائن !!

رجل ١ : (بهدوء) لا أختلف عنك كثيراً !

(يشتبكان في البداية ، ثم تتبعهم المجموعتان ، ويستمر الاشتباك لمدة ثلاثة دقائق ، يضاء المسرح بشكل متقطع مع أصوات صرخات متفرقة ، بعضها عن حماس ، وأخرى كأصوات الجرحى ، ثم تبدأ الأبواب تتهاوى)

الشاب : (بصوت جهوري) عليكم بهم .. لا تتراجعوا !

(يتولى سقوط الأبواب والبحث ، حتى يبقى الشاب وباب واحد يحمله الرجل ١ ، يشتبكان لمدة دقيقة مع تسليط الإضاءة عليهما أثناء حركتهما في أنحاء المسرح ، ثم يقضى الشاب على الرجل ١)

الشاب : (يصلع فوق الأبواب المتداعية ، بحيث يكون الباب الأخير خلفه ، يصرخ بصوت مبتهج) لقد حطمنـ————— الأبواب !! (قبل أن يكمل كلامه .. يسقط عليه الباب الأخير ، ويقتله)

(ستـ———ار)